

ممارسة الرياضة في المغرب القديم

د. رضا بن علال*

الملخص:

تعرفنا من خلال بقايا النقوش ولوحات الفسيفساء التي أنجزت في المقاطعات الرومانية للمغرب القديم والتي يعود تاريخها إلى القرنين الثاني والثالث للميلاد، أنّ وجهاء وأعيان البلديات المسيّرين لها كانوا ينظمون منافسات السباق والقفز والملاكمة وألعاب قوى (gymnasium)، والتي أقيمت ملازمة للمآدب. ولقد عرف هذا المظهر الحضاري ازدهاراً منقطع النظير، تترجمه لنا كتابات المثقفين الوثنيين ورجال الدين المسيحيين. فرغم اختلاف الرؤى بخصوص تنظيم الوجهاء والأعيان لهذه المنافسات وحضور جماهير الشعب لإحياء مبارياتها المختلفة، فإن المغاربة القدماء كانوا يعتبرون من بين المولعين بمتابعة فعاليات الألعاب الرومانية إلى درجة أصبحت فيها هذه الأخيرة جزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية.

Abstract :

The examination of the epigraphic and mosaic left in the Roman provinces of Antic Maghreb (2nd and 3rd centuries) revealed that the Roman administrators and governors were used to organize races in different sport fields for the people of the town. Once the sport competitions finished, all people were invited to share a meal. This cultural manifestation, which significantly spread throughout antic Maghreb, remained a landmark of the Roman achievement.

* - أستاذ باحث مختص في التاريخ القديم في المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر.

مقدمة:

نعرف من تاريخ وجود الحضارة الرومانية أنّ اهتمام الشعب والطبقة السياسية الحاكمة لم ينصب في روما على ألعاب المدرجات وسباق العربات فحسب، لكن تعدّاه إلى ألعاب القوى التي احتلت مكانة مرموقة في قاموس الألعاب الرومانية، قد تعود إلى بداية تأسيس مدينة روما. ومن المؤكّد أن المصارعة والملاكمة كانتا من ألعاب القوى التي تظهر على صفحات نصوص المصادر الأدبية اللاتينية وفي النقوش ومشاهد لوحات الفسيفساء. ذلك أنّهما لم تخسرا قيمتهما كرياضة وطنية منذ أن كان الإتروسك ملوكا في روما¹. وتعدّ الملاكمة والمصارعة الرياضة الأكثر شعبية لدى الإتروسك ومن بعدهم الرومان، وهي بذلك تأتي في المرتبة الثانية بعد سباق العربات. وإذا أردنا البحث عن تفسير لاهتمام الرومان بهذا السلوك الرياضي، فإنه يتحتم علينا العودة إلى فترة حكم الملوك الإتروسك في مدينة روما. فنحن أكثر تأكّدا من أنّ الرومان هم الورثة الشرعيون للحضارة الإتروسكية، وبأن الحضارة الرومانية تأثّرت، فيما يراه ترتوليانوس (Tertullien)، بالألعاب الإتروسكية أكثر من غيرها².

وأقدم ما نعرفه من ممارسة الإتروسك للمصارعة والملاكمة يعود على وجه التقريب إلى القرن السابع قبل الميلاد³. ومما يثير الانتباه بخصوص اهتمام هذا الشعب بتمارين اللياقة البدنية على العموم، والمصارعة والملاكمة على وجه الخصوص، تلك الرسومات التي تركها لنا على جدران الأضرحة وعلى واجهات الأواني، ما يوضّح ما لهؤلاء الرياضيين الذين تمثّلهم تلك الرسومات، من أوصاف تدلّ على حبّ وتبجيل الإتروسك للممارسة الرياضية⁴.

وتظهر لنا الرسومات المجسّدة على مواد مختلفة الملاكمين الإتروسك عراة ببطون بارزة، يرقصون على إيقاعات ألحان الناي التي كان يعزفها

الموسيقي (Tibicen) مرافق للمباراة⁵. وليس من المستبعد أن تكون لتلك الإيقاعات دور في شحذ الهمم، بحيث يصف جان بول تويلي (Jean-Paul Thuillier) رياضة الملاكمة عند الإتروسك بالرقص القتال⁶.

ولعلّ أهم ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد هو وضعية الرياضيين أنفسهم في مباريات الملاكمة الإتروسكية. فهذا رسم بارز أنجز على لوح حجري، محفوظ في متحف فلورنسا بإيطاليا، يظهر ثلاثة ملاكمين يرافقهم موسيقي يعزف على ناي. ويبدو الرياضيون عراة الأجسام، يرفعون أيديهم إلى أعلى: اليد اليمنى مفتوحة وممدودة إلى الأمام، في حين أن اليسرى مقبوضة خلف رؤوسهم. أمّا عن أرجل الرياضيين، فيلاحظ تقديم اليسرى بثني طفيف للركبة، وهي نفس الوضعية التي يمكن ملاحظتها على جدران قبر اللبؤات وقبر القرد بمدينة كيوزي (Chiusi). وتوحي هذه الوضعية الفريدة من نوعها إلى تمايل الملاكمين بأجسادهم، وهي المرحلة التي عادة ما كانت تسبق تسديد اللكمات⁷. وهكذا تكون معلوماتنا عن الملاكمة الإتروسكية، أغزر وأكثر وضوحاً من نفس الرياضة في المغرب القديم.

1- رياضة الملاكمة والمصارعة في بلاد المغرب القديم:

فإذا ما نحن أردنا البحث عن أصول رياضي الملاكمة والمصارعة في المغرب القديم فإن الدلائل المادية والأبحاث التاريخية ستحيلنا لا محالة إلى فترة حكم الملكين يوبا الثاني وابنه بطليموس في مملكة موريطانيا. إذ تشير الأبحاث إلى استقدام الملك يوبا الثاني الملاكمين والمصارعين إلى بلاطه الملكي⁸.

والمرجح أن الملاكمة والمصارعة كانتا خلال القرنين الثاني والثالث للميلاد ما زالتا قائمتين في المغرب القديم، وأنها كانت مزدهرة في عهد آل سفيروس⁹. لكن هذا لم يدم طويلا، إذ سرعان ما نصطدم باختفاء منافسات

ألعاب القوى والملاكمة في القرن الخامس الميلادي، فقد عرفت تلك النشاطات الرياضية ركوداً في ممارستها والاحتفاء بفعاليتها مع نهاية القرن الرابع¹⁰. لقد أنشأ سكان مدينة يول في مقاطعة موريطانيا القيصرية، على ما يبدو، منافستين في ألعاب القوى والملاكمة، أقيمت المنافسات الأولى على شرف الإمبراطور كمودوس أنطونينوس (Commode Antonnin) وهي تعرف بالألعاب الكمودية. بينما أسست الثانية على شرف الإمبراطور سبتيميوس سيفروس (Septime Sévère) وتعرف بالألعاب السفيرية. أما في مقاطعة البروقنصلية، فقد كرم المعبود أبولو في قرطاجة بتأسيس المنافسات البيثية، في حين اجتمعت كلمة القرطاجيين على تكريم معبود الطب إسكولابيوس (Esculape) بإقامة الألعاب الإسكولابية. فضلاً عن ذلك، فقد أسهم سكان مدينة أوتيكا في إحياء ألعاب سنوية، خصصها هؤلاء لمنافسات ألعاب القوى والملاكمة¹¹.

وعلى النقيض من الملاكمين الإيتروسك الذين عادة ما تظهرهم الرسومات ذوي بطون بارزة، كون اللكمات كانت تسدّد على مستوى الوجه¹²، فإن لوحات الفسيفساء المكتشفة بحمامات كراكلا (Caracalla) في روما، وتلك المنتشرة في المغرب القديم التي من ضمنها لوحة فسيفساء مكتشفة في الجنوب التونسي تمثل ألعاب القوى والملاكمة (الشكل 1)¹³، و"فسيفساء الملاكم المنتصر" المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر (الشكل 2)¹⁴، تصوّر لنا هؤلاء الرياضيين ذوي لياقة بدنية عالية تمثّلها عضلات مفتولة وأجسام رشيقة.

والشيء الأقرب إلينا والأوضح، والذي تؤكده لوحات الفسيفساء ولا شك، هو مرافقة أهالي المغرب القديم لفعاليات ألعاب القوى بالإيقاعات الموسيقية. وحسب هذه الأعمال الفنية، فإنهم جعلوا الفرق الموسيقية ترافق

بإيقاعاتها مباريات الملاكمة، إذ تبدو ملازمة لها في الفسيفساء المكتشفة بالجنوب التونسي¹⁵.

وقد استقيننا معلومات هامة عن ألعاب القوى والملاكمة من تلك الأعمال الفنية التي تنتشر عبر مقاطعة البروقنصلية، بحيث تمثل إحدى لوحات الفسيفساء المحفوظة بمتحف البارود في تونس، تعود إلى القرن الثالث الميلادي، هي المشهد الرئيسي في فسيفساء ذات أشكال هندسية مختلفة، ملاكمين عاريي الجسم، يرتدي كل منهما قفازات، وقد طرح أحدهما الثاني أرضاً بضربة سببت له نزيف في الرأس (الشكل 3).

ويمثل مشهد آخر لفسيفساء من إقليم المدن الثلاثة في ليبيا ملاكمين مفتولي العضلات عاريي الجسم يضع كل منهما قفازات بكلى يديه. وبينما يمكن ملاحظة طاوله عليها سعف النخل وتيجان النصر خلف الرياضيين، يجانب كل منهما جرة بداخلها ثلاث سعف نخل، ربما تمثل انتصارات كل واحد منهما. وتحيلنا وضعية أحد الملاكمين، الذي يمد إحدى يديه إلى الأمام، في حين يقبض اليد الأخرى خلف رأسه لتسديد الضربة القاضية إلى خصمه، إلى وضعية الملاكمين الإيتروسك التي سبق التطرق إليها. ويبدو الملاكم الثاني، الذي بدت عليه علامات الإعياء والتردد، أنه قد أصيب على جبينه التي أصبحت تنزف دمًا¹⁶.

وعلى العموم فنحن لن نجد أدقّ وصفا لرياضتي الملاكمة والمصارعة في المغرب القديم، من لوحة الفسيفساء المكتشفة في الجنوب التونسي، التي اصطلح علماء الآثار على تعريفها باسم ألعاب القوى والملاكمة، فهي تمثل مشهداً متكاملًا من الألعاب الرياضية. إذ تبرع اللوحة متعددة الألوان على مساحة 6.60م×6.50م، وهي تصور لنا أربعة عشر مشهداً. من بينها تسعة (9)

مشاهد تمثّل مباريات ومنافسات رياضية مختلفة، ومشهدين يتعلّق كل منهما بتسليم واستلام الجوائز، وثلاثة مشاهد تمثّل احتفاء الرياضيين بالنصر.¹⁷

ويستقطب اهتمامنا من ضمن المشاهد الرياضية التي تظهر في هذه اللوحة مشهدان يبدو أنهما غاية في الأهمية. الأول لمبارزة في الملاكمة يديرها حكم ممسك بعصا التحكيم، وهو يوشك على توقيف المباراة بسبب نزيف أحد الملاكمين.¹⁸ أما المشهد الثاني، فيتعلّق بمباراة في المصارعة. إذ يلاحظ طرح أحد الرياضيين أرضاً من طرف خصمه الذي سرعان ما أعلنه الحكم فائزاً، وذلك بلمسه بسعفة نخل.¹⁹

ويجب ألاّ يغيب على ذهننا أن المصارعة اليونانية تنقسم إلى نوعين، بحيث يتمثّل النوع الأول في المصارعة الكلاسيكية التي كان يتقابل فيها خصمان يحاول كل منهما إسقاط الآخر لثلاث مرّات. أما النوع الثاني فتمثّله رياضة البنكراتيون (Pankration) بجدارة²⁰، فهي رياضة استعراضية تشبه إلى حدّ كبير المصارعة الأمريكية (Le catch). وهذه الرياضة الأخيرة تعدّ عنيفة إذا ما نحن قارناها بالمصارعة اليونانية، إذ كان باستطاعة الرياضيين في أثناء مبارياتها تسديد اللكمات والضرب بالأرجل وخنق الخصم وكسر عظامه، في حين لم يكن يسمح للمتنافسين بالعض وفقى العيون وإدخال الأصابع في أنف الخصم.²¹

ولا يمكننا أن نذكر المصارعة اليونانية بنوعها، إلّا وجدنا أنفسنا أمام مجموعة من اللوحات الفنية والنقوش التي ترتبط، لا محالة، بهذه الرياضة، وهي عديدة ومتنوعة. ففيما يتعلّق بلوحات الفسيفساء، نذكر من ضمنها ذلك العمل الفني المكتشف في مدينة أوتيكا (Utique) بتونس، والذي يعود إلى بداية القرن الثالث الميلادي، فهو كان يزيّن بيت أحد الأثرياء الخواص ويمثّل زوجين من المصارعين تتوسطهم طاولة عليها سعفتي نخل وتاج نصر (الشكل 4).

ويمثل العمل الفني الثاني المحفوظ بمتحف البارديو في تونس الذي يتألف من لوحتي فسيفساء، هما جزء من لوحة أكبر كانت تزين حمامات إحدى المدن (Gigthis) بالقرب من سرت الصغرى في ليبيا، اللحظات الأخيرة من منافسة في المصارعة اليونانية²². ويبدو المصارعون في العمل الفني، على أنهم سمر البشرة ومفتولي العضلات. وبينما يمكن ملاحظة طرح أحد مصارعي اللوحة الأولى لخصمه أرضاً، فهو يبدو قد أمسك برأس المصارع الثاني بين رجليه محكما قبضته على يد هذا الأخير. يصور لنا المشهد الثاني إحكام أحد المصارعين بقبضة يديه على رجل خصمه، في حين يمسك بين إحدى رجليه برجل الرياضي الأخرى، وهي الوضعية التي يحاول المصارع من خلالها قلب خصمه، وطرحه أرضاً (الشكل 5).

أما عن اللوحة الثالثة²³ التي تعود إلى نهاية القرن الثالث للميلاد، فهي من ثينا (Thaenae) التي تقع جنوب مدينة الجم (Thysdrus) في تونس. وهذا العمل الفني، هو في الحقيقة، عبارة عن لوحة فسيفساء مستطيلة الشكل، تتوزع فيها المشاهد على سجلين اثنين، تمثل أربعة أزواج من المصارعين. وفيما يظهر السجل السفلي تصارع رياضيين، نستشف من السجل العلوي تصارع رجلين ووقوف آخرين يتأملان المباراة. وتعلو طاولة عليها سعة نخل وتاجي نصر²⁴.

وليس من المستبعد في اعتقادنا، أن يكون أعيان المغرب القديم وأثرياءه قد سعوا إلى تنظيم ألعاب القوى والملاكمة لمواطني البلديات والحواضر التي كانوا مستقرين فيها والتي كانوا يمارسون فيها بعض المسؤوليات الإدارية كمنتخبين أو ممثلين للسلطة السياسية في روما، وهو ما نستنتجه من النقوش ولوحات الفسيفساء التي قاموا بإنجازها تخليداً لذكرى تنظيم هذه الألعاب²⁵. كما تفيدنا النقوش في التعرّف على إسهامات الوجهاء والأثرياء

الخواص في إعطاء منافسات في المصارعة والملاكمة، تبدو بسيطة مقارنة بالمنافسات البيئية في قرطاجة والألعاب السفيرية في قيصرية موريطانيا. فنحن نعرف من بقايا سبعة نقوش تنتشر في الأراضي القريبة من مدينة قرطاجة، تعود جميعها إلى القرن الثالث الميلادي، إعطاء بعض وجهاء وأعيان المغرب القديم منافسات في الملاكمة لمواطني وأهالي البلديات التي كانوا يقطعونها أو يشرفون على تسييرها، وقد أقيمت هذه المباريات ملازمة للمآدب وألعاب قوى غير معروفة (gymnasium)²⁶.

فضلا عن ذلك، فإن البقايا الأثرية تحيلنا إلى إعطاء أحد قِيَمِي مدينة زغوان في الجنوب التونسي، يدعى كوينتوس كالفيوس روفنوس (Quintus Calvus Rufinus)، ألعاب القوى والملاكمة (Spectaculum pugilum et gymnasium) خلال النصف الأول من القرن الثالث، وذلك بمناسبة تدشين تمثال المعبود مارس أغسطس، الموصوف بحامي (Protector) الإمبراطور غورديانوس الثالث (Gordianus III)²⁷. وقد أسس المدعو بولبيوس لغاريوس بتيتوس (P. Ligarius Potitus) وهو أحد أعيان مقاطعة البروقنصلية، خلال القرن الثالث للميلاد، ألعابا في المصارعة والملاكمة يحتفل من خلالها بعيد ميلاده الذي يصادف تاريخ 17 ديسمبر من كل سنة²⁸.

ومع هذا فإننا لم نتمكن من خلال الأدلة الأثرية الوصول إلى تحديد ما كان يتقاضاه ممارسو رياضي المصارعة والملاكمة، لكن يمكن لنا القول أنّ الجوائز الممثلة في لوحات الفسيفساء، كانت عبارة عن سعف نخل، وتيجان نصر²⁹. بيد أن المكافئتين آنف الذكر كانت ترافقهما مبالغ مالية هامة، عادة ما تمثلها أكياس من العملة الرومانية³⁰. وعموما، فقد سبق أن أكدنا أن المصارعة والملاكمة هي أهم ألعاب القوى التي تظهر مشاهدا على لوحات الفسيفساء وفي النقوش، فهل لنا أن نخلص إلى القول بأن هذه الممارسات

الرياضية هي، في الواقع، الألعاب الرياضية الوحيدة التي كان يمارسها أهالي المغرب القديم؟

إن مثل هذا الاستنتاج تناقضه النصوص الأدبية ومشاهد الفسيفساء والأعمال الفنية التي أنجزت على مواد مختلفة ويرفضه الواقع لأن المغاربة القدماء كانوا، على الأقل خلال القرون الثلاثة الأولى وقسم من القرن الرابع للميلاد، مولعين بممارسة ألعاب القوى. ويمكن لنا أن نتعرف على ألعاب القوى من خلال عمليتين فنيين مكتشفين بمقاطعة البروقنصلية، الأول من مدينة مكث (Mactaris)³¹، والثاني بالقرب من مدينة قفصة في تونس³². ومن بين ما سلط الضوء عليه، رياضة السباق.

السباق:

تعتبر منافسات السباق من بين أقدم التمارين التي مارسها اليونانيون ضمن الألعاب الأولمبية والألعاب البيثية. وقد ذاع صيتها عند الإيتروسك والرومان، ثم سرعان ما انتشرت هذه الرياضة بعد توسع الرومان وتأسيسهم للإمبراطورية. وليس في استطاعتنا أن نقول ما إذا أخذها المغاربة القدماء عن الرومان أم أن ممارستهم لهذه الرياضة تعود إلى فترة الاستقلال الوطني لمملكتي نوميديا وموريطانيا. لكن الشيء المؤكد هو ظهور هذه الرياضة في لوحات الفسيفساء التي تعود إلى القرن الثالث والقرن الرابع للميلاد.

والظاهر أن رياضة العدو ترتبط في المغرب القديم بدراسة مشاهد لوحة الفسيفساء المكتشفة بالقرب من مدينة قفصة في الجنوب التونسي، فمن البديهي في اعتقادنا التعريف بهذه الرياضة من خلال وصف هذا المهرجان الرياضي. ويستحسن بنا ونحن نتطرق إلى هذه الرياضة، التنبيه إلى أنّ الإيتروسك إنما مارسوا السباق ضمن منافسات رياضية احتضنتها المدن الإيتروسكية منذ النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد³³. وإشارتنا إلى هذه

النقطة في هذا الموضع بالذات عن ممارسة هذا الشعب لرياضة السباق تنمّ عن اعتقادنا في أخذ الرومان هذه الرياضة عن الإيتروسك. لأن هذا الشعب يعدّ الأقرب إلى الرومان من إغريقي بلاد اليونان القارية أو إغريق بلاد اليونان الكبرى.

وتظهر لنا فسيفساء مدينة قفصة افتتاح التظاهرة الرياضية بمنافسة في السباق، كون هذه الرياضة تتصدّر بقية الألعاب والمنافسات الأخرى باحتلالها القسم العلويّ من اللوحة. وإذا ما نحن احتكنا إلى المسافات التي كان يقطعها المتسابقون الإغريق في منافسات السباق، فهي ثلاثة مسافات تتناسب مع العدد نفسه من المنافسات. فالأولى تساوي 1 إستاد أو ما يعادل 600 قدم، وهذه القيمة متغيرة بحسب تغير أرضية الملعب، فهي تتراوح بين 170م إلى 200م. وتعدل مسافة المنافسة الثانية حوالي 400م، أما مسافة المنافسة الثالثة فهي تتراوح ما بين 7 و24 إستاد، وهو ما تقابله في منافساتنا الحالية مسافات 1500م و5000م³⁴. هذا، وينبغي أن نميّز بادئ ذي بدء بين ثلاثة أنواع من السباق:

النوع الأول هو تلك الرياضة الممثّلة بالقسم العلوي من اللوحة الفنية. إذ تمثّل لنا في مرحلة أولى تنافس مجموعة من الرياضيين عراة الأجساد مفتولي العضلات ذوي ملامح السكان المحليين، وهم يتهيّؤون خلف عارضة خشبية في انتظار إشارة الحكم. وينتقل المشهد في مرحلة ثانية إلى تمثيل هؤلاء المتسابقين في أثناء عدوهم³⁵.

ويمثّل النوع الثاني آخر مشهد في اللوحة الذي يظهر سباق أثقل عداؤوه بالسلح، وهي الرياضة التي مارسها الرومان ومن قبلهم الإيتروسك³⁶، وربما أخذها هؤلاء الأخيرين عن الإغريق. وعرفت هذه الرياضة لدى إغريق بلاد اليونان القارية وبلاد اليونان الكبرى تحت اسم (hoplitodromos)، فهم كانوا

يقطعون مسافة من الأرض تساوي 15 إستاذ وكان يحمل كل متسابق من هؤلاء الرياضيين خوذة وترس ثقيل مصنوع من البرونز وواقيات الأرجل.³⁷ أما النوع الثالث فهو سباق مارسه مواطنو مدينة أثينا دون غيرهم من سكان بلاد اليونان القارية، وهو ما يعرف باسم (lampadodromia). ويتمثل هذا السباق، الذي تظهره لنا اللوحة الفنية في ركض المتسابقين وتداولهم على شعلة نارية مع الإبقاء على هذه الأخيرة مشتعلة إلى غاية خط الوصول.³⁸

القفز والرماية:

ما هو جدير بالذكر وله صلة بالألعاب القوى المشهورة في لوحة فسيفساء مدينة قفصة، أنه يوجد ضمن مشاهدتها ممارسة أحد الرياضيين لرمي القرص.³⁹ وهي رياضة عرفت عند إغريق بلاد اليونان القارية وعند الإتروسك في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، فهي تدخل ضمن الألعاب التي كان يحتفل بها اليونانيون في أولمبيا وأثينا.⁴⁰ بينما تظهر لنا هذه الرياضة في تلك الرسوم التي كانت تعلو جدران الأضرحة الإتروسكية التي تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد، نذكر من بينها قبر الألعاب الأولمبية.⁴¹ وليس في مقدورنا تحديد ما إذا دخلت منافسة رمي الحربة ضمن ما تنافس عليه المغاربة القدماء، لكن ما هو مؤكد هو ظهور ساطورين إلى يسار رمي القرص في لوحة مدينة قفصة⁴²، فهل يتعلّق الأمر هنا بممارسة إلقاء الساطور عوض الحراب؟

لا نستطيع الجزم بذلك، ولو أننا نميل إلى الاعتقاد بممارسة المغاربة القدماء للرماية، فالمعروف عن الليبيين أن سلاحهم الوطني هو الحربة.⁴³ فضلا عن ذلك، فقد عرفت ساحات التنافس في المغرب القديم القفز العالي، فكان يثقل الرياضيون خلال هذه المنافسات بالأثقال التي كانت تزن ما بين 2 و4 كيلوغرام، وهي الإعاقة التي كانت تعقد عملية القفز إلى حد كبير.⁴⁴

الرياضة في الحمامات:

قبل أن ينتصف القرن الثاني للميلاد، كان المغرب القديم قد احتل المرتبة الثالثة من حيث ضخامة ورفاهية الحمامات التي كان يتوفر عليها، وأضحت مكانة هذه المرافق العمومية مرموقة بين تلك التي عرفتها ربوع الإمبراطورية الرومانية. ونحن نعرف من الآثار التي خلّفتها لنا تلك المرافق، مجموع المزايا التي كانت تتمتع بها حمامات أنطونينوس (Les thermes d'Antonin)، والتي لا تضاهيها سوى حمامات كراكالا (Caracalla) وديوقلتيانوس (Dioclétien) في روما⁴⁵.

وذكر الحمامات، يدفعنا إلى التعريف بأحد أهم القاعات التي تتوفر عليها هذه المرافق العمومية، ألا وهي القاعة المخصصة لممارسة التمارين (Palestre)⁴⁶. فهي إما عبارة عن ميدان ملحق بالحمام، غير مغطى، مجهّز بضروريات ممارسة التمارين من كرات وأثقال وغيرها. أو هي قاعة مغطاة، يستطيع كل من يرتادها الانتقال منها إلى القاعة الدافئة (tepidarium) بعد تسخين العضلات بممارسة التمارين، وهو ما يظهر لنا جلياً بحمامات كلوني في لوتاس (Lutèce) في غاليا. فهذه الحمامات تحتوي على فضاء ملحق يحمل الرقم 1، هو مخصص لممارسة التمارين الرياضية (الشكل 6)⁴⁷.

ولم يقتصر نشاط ألعاب القوى على التنافس ضمن ألعاب الملعب والسيرك، وإنما تعدى إلى ممارسة التمارين داخل الحمامات. هذه الأخيرة التي عرفت إقبالا كبيرا من طرف أهالي المغاربة القدماء إبان الاحتلال الروماني. فكان يتوافد عليها الجمهور في الفترة الصباحية ما بين التاسعة والنصف والعاشرة وأربعة وأربعون دقيقة⁴⁸.

واستناداً إلى الأبحاث التي أنجزت عن هذه المرافق العمومية، يمكن القول إن ممارسة الرجال والنساء للألعاب في الميادين المخصصة لها

بالحمامات، كانت قائمة⁴⁹. ويفيدنا بترونيوس (Pétrone) في التعرف على لعبة من بين تلك الألعاب، كان يمارسها عدد كبير من مرتادي الحمامات، تتمثل في اللّعب بكرة المثلث (Trigonom) التي كان يمارسها ثلاثة أشخاص، يمثل كل منهم زاوية من زوايا مثلث وهمي، فكان يتقاذف هؤلاء الكرة (Trigona) بسرعة ودون سابق إنذار⁵⁰. أما لعبة الراحية (Harpastum) التي ورد ذكرها عند مارتيال (Martial)، فمن المرجّح أن يكون قد مارسها لاعبان، فكان يرسلها الأول لتلامس أرضية الميدان قبل التقاطها من طرف اللاعب الثاني⁵¹.

ويمكن الإشارة في هذا المقام إلى ممارسة مرتادي الحمامات لحمل الأثقال والسباق، وهي التمارين التي يعتقد مارتيال أنه لا جدوى من ممارستها لكونها في نظره مجرد مضیعة للوقت لا غير⁵². ونستشف من أشعار هوراسيوس (Horace) وجوفينال (Juvenal) تمرّن بعض جمهور ساحات الرياضة بالحمامات على الجري وراء الدولاب الحديدي⁵³. بالإضافة إلى ما سبق ذكره من الألعاب، فقد اعتاد مرتادي ساحات الألعاب في الحمامات اللعب بكرة خفيفة منفوخة بالهواء (Follis) ترمى بالكف⁵⁴.

ومما هو جدير بالذكر وله صلة بموضوع ممارسة التمارين بالحمامات، تطرق قصائد الهجاء لمارتيال إلى ممارسة الملاكمة من طرف الشباب المتردد على الحمامات. ونحن نعرف من هذا الكاتب أن الملاكمة كانت من بين الألعاب المحبّذة لدى جمهور الشباب، إذ ما فتى هؤلاء الأخيرين يتوددون إلى من يعلمهم إياها⁵⁵. بالإضافة إلى ذلك، فقد تمرّن هؤلاء الذين كانوا يرتادون الحمامات على المصارعة اليونانية⁵⁶.

ولم يكن من الغريب أن يمارس الرجال والنساء ألعاب القوى عراة الأجساد إذ أن كلاهما كان يطلي جسده بمرهم (Céroma)، يشير جوفينال⁵⁷ ومارتيال⁵⁸ على أنه كان يتشكل من خليط من الزيت وشمع العسل، أو أنه

مصنوع من الزيت والطباشير⁵⁹. وكان يصنع في أحيان أخرى من شمع ممزوج بمادة صمغية لزجة (résine) تفرزها بعض النباتات لاسيما الصنوبر⁶⁰. وفي المقابل، فقد ارتدى ممارسو ألعاب الكرة والتفاحة⁶¹ ملابس كانت إما تساعد على اللعب، مثل القميص⁶² أو السحاقية (Tribas)⁶³، أو أن دورها كان يتمثل في توفير الدفء بعد الإفراغ من ممارسة التمارين البدنية⁶⁴. ويذكر مارتيال أن ممارسة جميع تلك التمارين إنما كان الهدف منه تهيئة اللاعبين للاستحمام⁶⁵.

وللدلالة على اهتمام المغاربة القدماء بممارسة التمارين في الحمامات فإننا نحتكم على نقشين من تبسة (Theveste) يعود الأول إلى نهاية القرن الثاني الميلادي نستشف منه تنظيم المدعو سالفينانوس (Salvianus) ألعاباً رياضية في حمامات المدينة⁶⁶. في حين يشير النقش الثاني الذي يعود إلى سنة 211م، إلى ترك المدعو كورنيليوس إغريليانوس (Cornilius Egrilianus) عند وفاته وصية لأخويه، يشترط فيها الثري إقامة الألعاب الرياضية بالحمامات طيلة 64 يوماً مع تغطية كل المصاريف المتعلقة بهذه الاحتفالات من الثروة التي تركها لهما⁶⁷. فضلاً عن ذلك فإن توزيع الزيت من طرف القائمين على إعطاء ألعاب القوى في المغرب القديم والذي ما فتأت تشير إليه النقوش، إنما الهدف منه على ما يبدو هو استعماله في التدليك، سواء كان ذلك في المنافسات التي شهدها الملاعب أو في ساحات التمارين بالحمامات⁶⁸.

ومهما يكن من أمر، فقد تواصل توافد الجمهور على الحمامات إلى غاية غزو الوندال للمغرب القديم، بل ساهم هؤلاء الأخيرين في ترميم بعض الحمامات في المناطق التي سيطروا عليها. وهو ما يدلّ على تعلّق سكان المغرب القديم بهذه المرافق العمومية التي توارثوها عن الرومان.

الخاتمة:

تعدّ ممارسة الرياضة في ميادين خاصة مهياة لهذا الغرض أو في الحمامات من بين المظاهر الحضارية الرومانية التي اهتمّ بها المغاربة القدماء وأولوها اهتماماً لا يقل عن ذلك الاهتمام الذي منحوه للمصارعة الرومانية وسباق العربات. وهو الأمر الذي تشهد عليه النصوص والنقوش ولوحات الفسيفساء التي تظهر لنا جميعها بما لا يدع مجالاً للشك مدى براعة المغاربة القدماء في ممارسة الرياضة والاحتفاء بفعاليتها.

الملاحق:



الشكل 1

فسيفساء ألعاب القوى والملاكمة، قفصة (تونس)

Khanoussi (M.), « Une mosaïque unique dans le monde romain », p 10.



الشكل 2

فسيفساء الملاكم المنتصر، المتحف الوطني للآثار القديمة (الجزائر)
(صورة خاصة)



الشكل 3

منافسة في الملاكمة، متحف البارديو (تونس)
Yakoub (M.), Splendeurs des Mosaïques de Tunisie, p 296.



الشكل 4

فسيفساء المصارعة اليونانية، أوتيكا (تونس)

Yakoub (M.), Splendeurs des Mosaïques de Tunisie, p 294.



الشكل 5

المصارعة اليونانية، متحف البارديو (تونس)

Yakoub (M.), Splendeurs des Mosaïques de Tunisie, p 293.



الشكل 6

نموذج حمام روماني (غاليا)

Chairopoulos (P.), « les thermes, des sport-centers avant la lettre », p 46.

الهوامش :

- 1- Thuillier (Jean-Paul), Le sport dans la Rome antique, Paris : Errance, 1996, p 18.
- 2- Tertullien, Contre les spectacles, V.
- 3- Thuillier (J.-P.), « Nouveaux documents sur le sport Etrusque », Nikephoros, 18, 2005, pp 165-178.
- 4- Thuillier (J.-P.), « Jeux athlétiques en Etrurie », dans Le stade romain et ses spectacles, Edité par Christian Landes, Lattes : Imago, 1994, pp 35-41.
- 5- Ibid., pp 35-36.
- 6- Thuillier (J.-P.), « Les danseurs qui tuent... Et autres athlètes Etrusques », KTEMA, 11, 1986, p 211.
- 7- Ibid., p 213.

- 8- شارن شافية، "دور الملكة كليوباترة سيليني في موريطانيا القيصرية"، *حولية المؤرخ*، 5، 2005، ص 5.
- 9- Fantar (M.-H.), *La Mosaïque en Tunisie*, Tunis : Ed. De la Méditerranée, 1994, pp 168-170.
- 10- Khanoussi (M.), « Jeux athlétiques et Pugilat en Afrique Romaine », dans *Le stade romain et ses spectacles*, Op.cit., p 64.
- 11- Ibid., p 63.
- 12- Poliakoff (Michael B.), *Combat sports in the ancient world: Competition, violence, and culture*, USA: Yale University Press, 1987, p77.
- 13- Khanoussi (M.), « Une mosaïque unique dans le monde romain », *Archéologia*, 297, Janvier 1994, pp 10-15 ; Id., « Jeux athlétiques et Pugilat en Afrique Romaine », Op.cit., pp 63-67 ; Id., « Les spectacles de jeux athlétiques et de Pugilat dans l'Afrique Romaine », *MDAI*, 98, 1991, pp 315-322
- 14- اللوحة محفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر، تحت رقم الجرد: M.I. 022
- 15- Yakoub (M.), *Splendeurs des Mosaïques de Tunisie*, Tunis : Agence Nationale du Patrimoine, 1995, p 297.
- 16- Mahdjoub (O.), « I Mosaici della villa Romana di Silin », *Libya Antiqua*, Vol. XV-XVI, Tav. XXVIII, p 90.
- 17- Pausz (R.D.), Reitinger (W.), « Das Mosaik der gymnischen Agone von Batten Zammour, Tunisien », *Nikephoros*, 5, 1992, pp 119-123; Khanoussi (M.), « Une mosaïque unique dans le monde romain », Op.cit., pp 10-15 ; Id., « Jeux athlétiques et Pugilat en Afrique Romaine », Op.cit., pp 63-67 ; Id., « Les spectacles de jeux athlétiques et de Pugilat dans l'Afrique Romaine », Op.cit., pp 315-322 ; Id., « Spectaculum Pugilum et gymnasium. Compte rendu d'un spectacle de jeux athlétiques et de pugilat figuré sur une mosaïque de la région de Gafsa (Tunisie) », *CRAI*, 1998, pp 543-560.
- 18- Khanoussi (M.), « Une mosaïque unique dans le monde romain », Op.cit., p12.
- 19- Ibid., p 13.
- 20- Poliakoff (Michael B.), *Combat sports in the ancient world*, Op.cit., pp45-63.

- 21- Moretti (J.-Ch.), « Les spectacles du stade dans l'orient Romain », dans *Le stade romain et ses spectacles*, Op.cit., 1994, p 47.
- 22- Yakoub (M.), *Splendeurs des Mosaïques de Tunisie*, Op.cit., p 293.
- 23- Fantar (M.-H.), *La Mosaïque en Tunisie*, Op.cit., p 198.
- 24- Ibid., p 172.
- 25- Khanoussi (M.), « Spectaculum Pugilum et gymnasium. Compte rendu d'un spectacle de jeux athlétiques et de pugilat figuré sur une mosaïque de la région de Gafsa (Tunisie) », Op.cit., pp 543-560.
- 26- Briand-Ponsart (C.), « Une Evergésie modeste : les combats de boxe dans quelques cités d'Afrique Proconsulaire pendant l'empire », *Antiquités Africaines*, 35, 1999, pp135-149.
- 27- CIL, VIII, 12425.
- 28- CIL, VIII, 12421.
- 29- Khanoussi (M.), « Une mosaïque unique dans le monde romain », Op.cit., pp 14-15.
- 30- Ibid., p 15.
- 31- Id., « Jeux athlétiques et Pugilat en Afrique Romaine », Op.cit., p 63.
- 32- Id., « Une mosaïque unique dans le monde romain », Op.cit., pp 10-15.
- 33- Thuillier (J.-P.), « Les danseurs qui tuent... Et autres athlètes Etrusques », Op.cit., p 217 ; Id., « Jeux athlétiques en Etrurie », Op.cit., p 37.
- 34- Carbonnieres (Philippe), « L'Athlétisme Grec », dans *Le stade romain et ses spectacles*, Op.cit., p 19.
- 35- Yakoub (M.), *Splendeurs des Mosaïques de Tunisie*, Op.cit., p 297.
- 36- Camporeale (Giovannangelo), « La danza armata in Etruria », *MEFRA*, 99, 1, 1987, pp 11-42; Id., « la danse armée en Etrurie (résumé) », *KTEMA*, 11, 1986, pp 221-222.
- 37- Carbonnieres (P.), « L'Athlétisme Grec », Op.cit., p 19.
- 38- Carbonnieres (P.), Op.cit., p 20.
- 39- Khanoussi (M.), « Une mosaïque unique dans le monde romain », Op.cit., p 12.
- 40- Carbonnieres (P.), Op.cit., p 21 et fig.4-5, p 31.
- 41- Thuillier (J.-P.), « Jeux athlétiques en Etrurie », Op.cit., p 37.
- 42- Yakoub (M.), *Splendeurs des Mosaïques de Tunisie*, Op.cit., p 297.

- 43- Lhote (H.), Les chars rupestres Sahariens des Syrtes au Niger par le pays des Garamantes et des Atlantes, Hespérides, 1982, p 110.
- 44- Carbonnieres (P.), Op.cit., p 20.
- 45- Mahdjoubi (A.), Les cités romaines de Tunisie, Tunis : S.T.D, S.D, p 94.
- 46- Ibid., p 90.
- 47- Chairopoulos (P.), « les thermes, des sport-centers avant la lettre », Sciences et vie (Hors-série), 224, 2003, p 46.
- 48- منصوري خديجة، "الحمامات ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني"، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، أعمال ملتقى دولي في التاريخ (23-24 أبريل 2001)، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، ص 80.
- 49- اختلط الرجال بالنساء في الحمامات الرومانية إلى غاية القرن الأول الميلادي، ثم سرعان ما أصبح لكل جنس منهم إما توقيت مختلف أوقاعات متميزة.
- 50- Pétrone, Satiricon, 27.
- 51- Martial, Epigrammes, IV, 19.
- 52- Martial, Epigrammes, IV, 19; XIV, 43.
- 53- Horace, Odes, III, XXIV, v.51-62 ; Juvénal, Satires, III, 421.
- 54- نصوري خديجة، المرجع السابق، ص 80.
- 55- Martial, Epigrammes, VII, 32.
- 56- Mahdjoubi (A.), Les cités romaines de Tunisie, Op.cit., p 90.
- 57- Juvénal, Satires, VI, 421
- 58- -Martial, Epigrammes, VII, 32
- 59- Ibid., IV, 19.
- 60- Mahdjoubi (A.), Loc.cit.
- 61- Cicéron, De l'Orateur, II, 58.
- 62- Pétrone, Satiricon, 27.
- 63- منصوري خديجة، المرجع السابق، ص 80.
- 64- Martial, Epigrammes, IV, 19; VII, 67.
- 65- Ibid., VII, 32
- 66- ILAlg., I, 3032.

- 67- LAlg., I, 3041.
- 68- Briand-Ponsart (C.), « Une Evergésie modeste : les combats de boxe dans quelques cités d'Afrique Proconsulaire pendant l'empire », Op.cit., pp135-149.